الخذلان المعنوي وأثره في صياغة الشخصية
(دراسة قرآنية ـ اليهود نموذجاً) *

أ. آمال خميس عبد القادر حماد **

أ. د. نصار أسعد نصار ***

---

* تاريخ التسليم: 2/ 11/ 2013، تاريخ القبول: 19/ 11/ 2013

** باحثة في مرحلة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن/ كلية الشريعة/ جامعة دمشق/ سوريا.

*** أستاذ/ كلية الشريعة/ جامعة دمشق/ سوريا.

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على مفهوم الخذلان المعنوي، وأسبابه وأشكاله وصوره، ويُظهر أن أغلبها تقع على القلب؛ والذي يُقصد به القلب الوظيفي؛ أي العقل والإدراك. كما يتطرق إلى الفروق بين صور الخذلان الواقعة على القلب في التأثير، ويبين أيضاً أن أغلب صور الخذلان وأشكاله كانت من نصيب اليهود، وأن الخذلان المعنوي الذي أصاب اليهود كان له أثر بالغ في صياغة معالم شخصيتهم، وسمات تلك الشخصية؛ التي ميزتهم عن غيرهم من الأمم الأخرى في البشاعة والانحراف.

Conceptual Betrayal and its Effect on Shaping the Personality Koranic Study, Jews as a Model

Abstract:

This research sheds light on the conceptual betrayal and its reasons and forms. The research shows that the betrayal mainly affects the heart, which means man›s mind and recognition. The paper conveys different effects of betrayal forms on the heart. Moreover, the research stated that Jews had a lot of these betrayal forms which greatly affected their personality and made them distinctive from other nations in their ugliness and deviation.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وثبتنا على الإيمان، ووفقنا لما فيه الخير والصلاح، وعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأصلي وأسلم على هادي البشرية الى الخير والصلاح؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الصالحين الأطهار. أما بعد،

كثر الحديث عن مثالب الشخصية اليهودية قديماً وحديثاً، وقد تناول المفسرون ذكر قبائح اليهود من خلال كتب التفسير، وذلك عند تفسيرهم للآيات التي تتناول ذكر اليهود من بني إسرائيل، وأشار بعضهم من خلال تفسيره للآيات إلى بعض سمات تلك الشخصية؛ وبخاصة في التفاسير الحديثة، كما دونت حول الموضوع كتب كثيرة، وذلك لأن المشكلة اليهودية مشكلة معقدة، ولها تداعيات خطيرة على المجتمعات الإنسانية خلال مراحل التاريخ، وبرزت أعقد مراحلها في هذا العصر؛ عندما أقام اليهود كيانهم المغتصب على أرض فلسطين، وما تبعه من تداعيات على المنطقة، وسائر العالم الإسلامي، فقد كتب كثير من المثقفين الإسلاميين كتباً وأبحاثاً تتحدث عن اليهود من منطلق إسلامي، مسترشدين بالقرآن والسنة؛ ومن تلك الكتب التي عرضت لتاريخ اليهود وحياتهم من منطلق قرآني كتاب: (اليهود في القرآن) لعفيف طبارة، و (اليهود في القرآن) لمحمد عزة دروزة، أما أشهر الكتب التي ألفت حول الشخصية اليهودية كدراسة تحليلية لها؛ فهو كتاب (الشخصية اليهودية من خلال القرآن) د. صلاح الخالدي، وما يميز هذا الكتاب عن غيره: تمييزه بين مصطلح اليهود وبين مصطلح بني إسرائيل كمدخل للحديث عن سمات الشخصية اليهودية ومحاولة منه لتحليلها، مُنطلَقاً للحديث عن الكيان اليهودي المعاصر في فلسطين من منطلق قرآني، كما فيه بيان وتوضيح لمستقبل الأمة المسلمة ولمستقبل الكيان اليهودي، وعلى الرغم من كل ما كُتب من تحليل للشخصية اليهودية وبيان لسماتها؛ إلا أن أحداً لم يتطرق بشكل مباشر للسبب الحقيقي الذي صاغ هذه الشخصية بهذا الشكل على رغم الإشارة إليه في القرآن. وإن كانت هناك دراسات اعتمدت على نصوص التوراة والتلمود في تحليلها للشخصية اليهودية، وأشارت إلى تلك النصوص التي زُعم أنها السبب الحقيقي وراء صياغة هذه الشخصية، – وإن كنت أرى من خلال قراءاتي حول الموضوع أنه أحد النتائج المؤثرة وليس السبب الحقيقي– ، ومن هذا المنطلق كانت كتابة هذا البحث بعنوان: الخذلان المعنوي وأثره في صياغة الشخصية (دراسة قرآنية– اليهود نموذجاً) . محاولة مني لإضافة تفسير جديد للسبب الحقيقي وراء هذه الشخصية المنحرفة، العدوانية المتمردة. وأرجو من الله التوفيق.

ولتكون الدراسة مستوفية الأركان قدر المستطاع عمدت إلى استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة. كالآتي:

- التمهيد: تعريف الخذلان المعنوي.
- المبحث الأول: صور الخذلان المعنوي.
- المبحث الثاني: أثر الخذلان المعنوي في صياغة الشخصية اليهودية.
- الخاتمة: وفيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

تمهيد ـ تعريف الخذلان المعنوي:

تعريف الخذلان:

قال ابن فارس: «الخاء والذال واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تَرْك الشَّيء والقُعود عنه». [1] يُقال خذلت الظبية ونحوها: تخلفت عن القطيع، أو أقامت على ولدها، فهي خاذل وخذول. [2] فالخِذْلان: مصدر قولهم: خَذَلَ يَخْذُلُ خِذْلاناً وخَذْلاً، وهو ترك النصرة. [3] والنُّصرة: حسن المعونة في الشدة وغيرها؛ فنصرة الله للعبد إعانته له، أمّا نصرة العبد لله فهي نصرته لعباده، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه. [4]

ومعونة الله للعبد في مصطلح العلماء هي التوفيق؛ وهي إعانة خاصة من الله للعبد بها يَضْعُفُ أثر النفس والشيطان وتقوى الرغبة في الطاعة، ويقابله الخذلان؛ وهو كما قال المناويّ: «خلق قدرة المعصية في العبد». [5] فمقصوده أن المخذول لا قدرة له على الطاعة في شيء، أو في وقت. [6] وقال القشيري: » الخذلان التخلية مع المعاصي، فمن خَذَلَه أَلقى حَبْله على غاربه، وَوَكَلَه إلى سوء اختياره «، [7] وقال ابن منظور: » وخِذْلانُ اللَّه للعَبد أن لا يَعْصِمَه مِن الشبه فيقَعَ فيها «. [8] أما ابن القيم فقال: «والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها». [9] وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق: هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو: أن يخلى بينك وبين نفسك، فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا، فيطيعه ويرضيه، ويذكره ويشكره بتوفيقه له، ثم يعصيه، ويخالفه ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه، فإن وفقه فبفضله ورحمته، وإن خذله فبعدله وحكمته، ويكله إلى نفسه[10]. فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس؛ فإن تولاه الله لم يظفر به عدوه،

وإن خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة «. [11]

ومن هذه التعريفات جميعاً يمكن تقسيم الخذلان إلى خذلان معنوي وخذلان مادي. والمقصود بالخذلان المادي: هو تخلي الله عن نصرة عباده عند الشدة، وفُسِّرت بالهزيمة عند الحروب والعقوبات المادية التي يوقعها الله على عباده؛ وهذا ليس مجال دراستنا. لذلك سنقتصر في هذا البحث على دراسة الخذلان المعنوي فقط.

تعريف المعنوي: المَعْنَوِيُّ، هو ما لا يكونُ للِّسانِ فيه حَظ، إنّما هو مَعْنَى يُعْرفُ بالقَلْب.

وقالَ المناوي في التوقيف: المَعاني هي الصُّورُ الذّهْنيَّةُ مِن حيثُ وضع بإزائِها الأَلْفاظُ والصُّورَةُ الحاصِلَةُ من حيثُ إنَّها تقصدُ باللفْظ تسَمَّى مَعْنًى، ومن حيثُ حُصولها من اللفْظِ في العَقْل تسَمَّى مَفْهوماً. [12]

وعلى ذلك يمكن تعريف الخذلان المعنوي بقولنا: هو: خلق قدرة المعصية في العبد؛ وذلك بأن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها، فيقع في المعاصي والشُّبهات الموصلة للهلاك.

المبحث الأول- صور الخذلان المعنوي:

الصور الواقعة على القلب:

بالنظر إلى ما سبق بيانه من مفهوم الخذلان المعنوي تبين أن الخذلان المعنوي تنحصر أغلب صوره في القلب وبأشكال متنوعة، ولا نعني بالقلب تلك الكتلة العضوية الصنوبرية بل نعني بها القلب الوظيفي؛ يقول ابن القيم: «مبدأ كل علم نظري وعملٍ اختياري هو الخواطر والأفكار، فإنها توجب التصوُّرات، والتصوُّرات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة... واعلم أن الخَطَرَات والوساوس تؤدِّي متعلقاتُها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤدِّيها إلى التَّذَكُّر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل». [13] إذن فالقلب وظائفه على بابين: الأول: باب العلوم والتَّصوُّرات، وهو العمليات المعرفية؛ من فكر، وتدبر، وتذكر، ومعلومات سابقة، وناتجة متحصلة منها. والثاني: باب الإرادات والعزوم، وهذا بالتَّعلُّق والميل إلى أمور، والابتعاد والنفور من أمور أخرى، وهذا الباب درجات؛ أولها الميل، ثم العلاقة، ثم الإرادة، وعن الإرادة ينتج العزم، وهو قرار العمل قلبيًّا باستخدام الجوارح، فالإرادة إن استحكمت صارت عزمًا، والعزم يتولَّد عنه الفعل. بهذا تبيَّن الفرق بين العقل وهو باب التصوُّرات والعلوم، وبين العاطفة وهي باب الإرادات والعزوم، وما يشملها من تمنٍّ وشهوات وأهواء. لكن كِلاَ البابين مركزهما القلب؛ بمعنى: اللَّطيفة الربانية الروحانية،

فكان العقل أحد وظائف القلب. فصلاح العبد بقوَّة إيمانه وقوة عقله، فالإيمان أفعال القلب، وما عقد نفسه عليه من أحكام، وما كان من إرادات وعزائم له، والعقل تفكُّره فيما اعتقد، وتدبيره لأعمال الجوارح، واستنباطه ممَّا في قلبه من إيمانٍ وعلوم.

قال ابن القيم: » لما كان للقلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب– كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوَّتين فيما ينفعه ويعود عليه بصلاحه وسعادته، فكماله باستعمال قوَّة العلم في إدراك الحقِّ ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوَّة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته، وإيثاره على الباطل، فمَن لم يعرف الحقَّ فهو ضالٌّ، ومَن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوبٌ عليه، ومَن عرفه واتَّبعه فهو مُنْعَمٌ عليه«. (14)

صور الخذلان الواقعة على القلب:

ذكرنا سابقاً أن المراد من القلوب الألباب والعقول، فالعرب تطلق القلب على اللحمة الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، ومقره الدماغ لا محالة؛ ولكن القلب هو الذي يمده بالقوة التي بها عمل الإدراك. (15)

ومن صور الخذلان الواقعة على القلب: الطبع أو الختم– تقسية القلب– إلقاء أو قذف الرعب في القلب– عدم تطهير القلب– صرف القلب عن الهداية– زيادة مرض القلب.

- **أولاً– الطبع على القلب:**

والطبع: إحكام الغلق بجعل طين ونحوه على سد المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرج ما فيه إلا بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به. (16)

أسباب الطبع:

1. الكبر والتجبر: ومثاله فرعون موسى فقد أرسل الله إليه موسى بالآيات الدالة على صدق رسالته، ولكنه قابل ذلك بالمجادلة والكبر وتجبر على بني إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: 35]، فمن كانت صفته الكبر والتجبر، فإن الله يطبع على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا. (17)

2. التخلف عن الجهاد لغير عذر: قال تعالى مبيناً خذلان المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: 93]. وقال أيضاً:

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]، فقد أسند الطبع على قلوبهم إلى الله في هذه الآية للإشارة إلى أنه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه، بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عماية، ولأجل هذا المعنى فرع عليه فهم لا يعلمون لنفي أصل العلم عنهم، أي يكادون أن يساووا العجماوات. [18] فقد أغلق الله فيهم منافذ الشعور والعلم، وعطل فيهم أجهزة الاستقبال والإدراك، بما ارتضوه هم لأنفسهم من السلامة الذليلة. [19]

3. تكذيب الرسل: قال تعالى: **﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾** [الأعراف: 101]. فالمسارعة بتكذيب الرسل لأول وهلة سببٌ للطبع على القلوب، فلا يدخلها نور الحق، فهم سلكوا الباطل مسارعين إليه، قبل أن يتبعوا، فلما جاءهم الحق بالبينات كان القلب قد أغلق على الباطل، فضلوا وما أضلهم الله، إذ هم الذين سدوا الطريق، وإن أولئك الذين طبع الله تعالى على قلوبهم قد أفسدوا فطرتهم بإصرارهم على التكذيب. [20]

يقول ابن عاشور: » وإظهار المسند إليه في جملة يطبع الله دون الإضمار: لما في إسناد الطبع إلى الاسم العلم من صراحة التنبيه على أنه طبع رهيب لا يغادر للهدى منفذاً إلى قلوبهم». [21]

4. الكفر: قال تعالى: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** [النساء: 155]. الآية هنا تتحدث عن سبب الطبع الذي أصاب قلوب أولئك النفر من اليهود الذين تحججوا بعدم إيمانهم ووصول الحق إلى قلوبهم لكونها غُلفاً بحسب الجِبِلّة بل الأمرُ بالعكس فقد طبع الله عليها بسبب كفرهم. [22]

5. الردة عن الدين واختيار الدنيا على الآخرة: قال تعالى: **﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين× أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [النحل: 107-108]. فمن كفر بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به واختار زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة؛ فأولئك يستحقون الطبع على قلوبهم فلا ينفذ إليها نور الهدى بعد ذلك. [23]

6. النفاق: قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾** [المنافقون: 3]، أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي. [24]

- **ثانياً- الختم على القلوب:**

الختم على القلوب هنا ليس على الحقيقة، بل المقصود عدم نفوذ الإيمان والحق إلى العقل. [25] قال الزجاج: الختم التغطية؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه، وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد؛ فلا يؤمن مادامت تلك الظلمة في قلبه. [26]

الفرق بين الطبع والختم: الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعاً، وهو الأثر الذي يؤثره فيه فلا يزول عنه. [27]

قال ابن القيم: الختم والطبع يشتركان في معنى التغطية على الشيء والاستيثاق منه، ويفترقان في معنى آخر؛ وهو أن الطبع ختم يصير سجيّة وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق. [28]

أما ما ورد في القرآن من ذكر للران والقفل على القلوب؛ كما في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: 14]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: 24]. فقد وردت هاتان الصفتان من باب توصيف لحالة القلوب وما وصلت إليه، وليس من باب بيان خذلان **الله** لها.

الفرق بين الطبع والقفل والران: عن ابن جُريج، قال: حدثني عبد **الله** بن كَثير، أنه سمع مجاهدًا يقول: الرّانُ أيسَرُ من الطَّبْع، والطَّبع أيسر من الأَقْفَال، والأقفال أشدُّ ذلك كله. [29]

أسباب الختم:

1. جحود رسالة محمد –صلى **الله** عليه وسلم– : قال تعالى مخبراً عن نفر من أحبار اليهود: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: 7]، فقد جحدوا نبوّةَ محمد– صلى **الله** عليه وسلم– وستروه عن الناس وكتمُوا أمره، وهُمْ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. [30] لذلك ختم **الله** على قلوبهم فلا يؤمنون أبداً.

2. عبادة هوى النفس: قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: 23]، فمن كان مطواعاً لهوى نفسه؛ يتبع ما تدعوه إليه فإن **الله** ينشئ فيه فعل الضلال، ويختم على سَمْعِه فلا يقبل وعظاً، وَعلى قَلْبِه فلا يعتقد حقاً، ويجعل على بَصَرِهِ غطاء فلا يبصر عبرة. [31] وهذا الغطاء سرى إليه من غطاء القلب. فإن ما في

القلب من الخير والشر يظهر على العين، فالعين مرآة القلب، تظهر ما فيه. فذلك أثر البغض والإعراض عنه. [32]

♦ **ثالثاً- صرف القلب:**

قال تعالى: ﴿**صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: 127]. فهذا خذلان **الله** تعالى للمنافقين الذين مهد **الله** تعالى لهم سبل الإيمان فأنكروها، وأبان لهم دواعي الحق فتنكروا لها، وأنزل عليهم آياته فانصرفوا عنها. [33]

يقول ابن عاشور: «هذا الصرف لقلوبهم عن الفهم كان بأمر تكويني فحرموا الانتفاع بأبلغ واعظ عقاباً لهم بسبب أنهم قوم لا يتطلبون الهدى بالتدبر فيفهموا «. [34]

♦ **رابعاً- قذف الرعب في القلوب:**

قال تعالى: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ [الأحزاب: 26]. القَذْفُ: الرَّمْيُ بقُوَّة. [35] والرعب: الفَزَع والخَوْفُ. [36] فالآية هنا تتحدث عن خذلان **الله** لبني قريظة الذين عاونوا الأحزاب على حرب الرسول في غزوة الخندق، فقد أمر **الله** رسوله بأن يخرجهم من حصونهم ومعاقلهم، فحاصرهم رسول **الله**- صلى **الله** عليه وسلم- خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف **الله** في قلوبهم الفزع والخوف فاستسلموا ونزلوا على حكم المسلمين، فسلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسبي. [37]

♦ **خامساً- إلقاء الرعب في القلب:**

قال تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران: 151]. الإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التعارف اسما لكل طرح. [38] فالآية تبين خذلان **الله** للمشركين حينما عزموا العودة من طريقهم لاستئصال من بقي من المسلمين بعد هزيمتهم في غزوة أُحد؛ فقد قذف **الله** في قلوبهم الرّعب، حتى رجعوا عمّا همّوا به. [39] وكان السبب في إلقاء **الله** الرّعب في قلوبهم إشراكهم به آلهة لم ينزل **الله** بإشراكها حجة. [40] ولهذه العلة التي بينتها الآية فإن الرعب الذي ألقاه **الله** في قلوب مشركي مكة سيستشعره كل مشرك يلقى المؤمنين المخلصين، فهذه سنة **الله** في خلقه. يقول الرازي: " هذا الوعد غير مختص بيوم أحد، بل هو عام. قال القفال رحمه **الله**: كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أن **الله** تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان. وقد فعل **الله** ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل". [41]

♦ **سادساً- إلقاء العداوة والبغضاء في القلوب:**

العداوة: ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام. (42) العَدُوُّ: من معانيه التّجاوز ومنافاة الالتئام بالقلب. (43) والبغض: مصدر قولهم بغض يبغض، والاسم البغضاء، وهي مأخوذة من مادّة (بَغَضَ) الّتي تدلّ على خلاف الحبّ، (44) وقال ابن منظور: البغض والبغضة نقيض الحبّ. والبغضاء والبغاضة جميعاً شدّة البغض. (45) وقال الرّاغب: البُغْض: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحبّ، فإنّ الحب انجذاب النفس إلى الشيء، الذي ترغب فيه. البغضاء والبغضة: أشدّ البغض. (46)

الْفرق بَين الْعَداوَة والبغضاء:

قال العسكري: » الْعَدَاوَة البعاد من حَال النُّصْرَة ونقيضها الْوَلَايَة وَهِي الْهَرَب من حَال النُّصْرَة والبغضة إِرَادَة الاستحقار والإهانة ونقيضها الْمحبَّة وَهُوَ إِرادة الإعظام والإجلال». (47) وقال السمين الحلبي: «العداوة كل شيء مشتهر يكون عنه عملٌ وحربٌ، والبغضاء لا تتجاوزُ النفوس». (48) وجاء في الكليات: أن العداوة أخص من الْبغضَاء لِأَن كل عَدو مبغض، وَقد يبغض من لَيْسَ بعدو. (49) وعليه فإن كلاً منهما محله القلب وإن كانت العداوة قد ينتج عنها فعل، وأن البغضاء قد ينتج عنها اعتداء وهذا ما يُعرف بالسلوك العدواني المفرط لأنه نتاج بغض شديد.

فلما ترك اليهود العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده، وكادوا للمسلمين ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم ليفرق كلمتهم ويرد كيدهم. (50) قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: 64]. أما النصارى فقد أغرى بينهمَ العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بسبب نقضهم الميثاق الذي واثقوا الله عليه بالتزام أحكام الإنجيل، والإيمان بالله وحده لا شريك له والإيمان بمحمد- عليه الصلاة والسّلام- إن أدركوه ويتبعوه، فتركوا حظًا واجبًا مما كلفوا به. (51) قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة: 14]. أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضاً ومعاداة بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصارى لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. (52)

وقد خصص سبحانه لفظ الإلقاء عند ذكر اليهود، والإغراء عند ذكر النصارى فلماذا؟

ولعل الجواب على ذلك يتبين من خلال الرجوع للمعنى اللغوي للفظتين واستقصاء التاريخ؛ فالمعنى اللغوي للإلقاء كما سبق بيانه هو طرح الشيء حيث تراه، أما الإغراء فهو: الإلصاق، وأصلُه من الغِراء الذي يُلْصَقُ به، يقال: غريتُ بالرجل غرىً إذا لصِقتَ بِه، (53) وحقيقة الإغراء حث أحد على فعل وتحسينه إليه حتى لا يتوانى في تحصيله فاستعير الإغراء لتكوين ملازمة العداوة والبغضاء في نفوسهم، أي لزومهما لهم فيما بينهم. (54) وقال أبو عبيدة: الإغراء: التهييج والإفساد، (55) وعلى ذلك فالإغراء أشد من الإلقاء؛ فهو إلقاء تبعه إلصاق وتهييج. فقد حدثنا التاريخ أن العداء بين الأمم النصرانية مستحكم ملصق بهم ومتهيج بين وقت وآخر وما الحروب العالمية الطاحنة بين الشعوب الأوروبية والطوائف النصرانية إلا شاهدٌ على ذلك أضف إليها العداوة بين الكنائس النصرانية التي تستتبعها الحروب كما حدث في ايرلندا وغيرها من الدول. أما الإلقاء فهو مجرد الطرح كما علمت والضمير في قوله تعالى (بينهم) راجعٌ لليهود ونحن نعلم أن ما بين اليهود من عداوة لم تصل الى ما هي عليه عند النصارى ولن تصل.

- **سابعاً- حجب الهداية عن القلب:**

بتغطية القلب بالأكنة: الأَكِنَّةُ: الأَغطِيَةُ، والواحد كنانٌ. (56) قال تعالى في شأن كفار مكة: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الأنعام: 25] ، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾ [الإسراء: 46]. وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً**﴾ [الكهف: 57]. بيَّن **الله**- جل وعلا- في هذه الآيات الكريمات: أنه جعل على قلوب الكفار أغطية بين قلوبهم وبين فهم معاني القرآن فهماً ينتفع به صاحبه، وأنه جعل في آذانهم صمماً وثقلاً لئلا يسمعوه سماع قبول وانتفاع؛ وذلك خذلان لهم بسبب كفرهم. (57) فأما مَنْ ذُكِّر بآيات **الله** وبُيِّن له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب ورغب، فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قدمت يداه من الذنوب، فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذي لم تأته آيات **الله** ولم يذكر بها، وإن كان ظالماً، فإنه أخف ظلماً من هذا، لكون العاصي على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس

كذلك، فالله تعالى يخذله بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه حالة الشر مع علمه بها، بأن يسد عليه أبواب الهداية بإقفال قلبه والطبع عليه، ويسد منافذ الهداية عنه، فليس في هدايته حيلة ولا طريق. (58)

بإغفال القلب: (غَفَلَ) الْغَيْنُ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ. (59) وأَغْفَلَه: تركه وَسَهَا عَنْهُ. (60) قال تعالى مخاطباً الرسول– صلى الله عليه وسلم– في شأن كفار مكة الذين حاولوا نهي الرسول عن مجالسة فقراء المسلمين: ﴿... **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: 28]. والمراد بإغفال القلب جعله غافلاً عن الفكر في الوحدانية حتى راج فيه الإشراك، وأصل الإغفال: إيجاد الغفلة، وهي الذهول عن تذكر الشيء، وأريد بها هنا غفلة خاصة، وهي الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الإغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقة تلك القلوب. (61)

يقول ابن القيم: «الغفل الشيء الفارغ، والأرض الغفل: التي لا علامة بها، والكتاب الغفل: الذي لا شكل عليه. فأغفلناه: تركناه غافلاً عن الذكر فارغاً منه. فهو إبقاء له على العدم الأصلي، لأنه سبحانه لم يشأ له الذكر، فبقي غافلاً، فالغفلة وصفه. والإغفال فعل الله فيه بمشيئته، وعدم مشيئته لتذكره. فكل منهما مقتض لغفلته. فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر، وإذا شاء غفلته امتنع منه الذكر، وهذا الإغفال ترتب عليه اتباع هواه، وتفريطه في أمره». (62)

- **ثامناً– تقسية القلوب:**

القَسْوَةُ الصَّلابَةُ في كل شيء وحجَر قاس صُلْب وأَرض قاسيةٌ لا تُنبت شيئاً. (63) وهي مصدر قولهم قسا يقسو إذا غلظ قلبه، وهو مأخوذ من مادّة (ق س و) الّتي تدلّ على شدّة وصلابة، ومن ذلك الحجر القاسي أي الصّلب. (64) وقال الرّاغب: القسوة: غلظ القلب. (65) وهو ذَهاب اللِّين والرحمة والخشوع منه. (66)

وقال الجاحظ: القساوة: هي التّهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى، وهي خلق مركّب من البغض والشّجاعة. (67) قال تعالى في شأن بني إسرائيل بعدما نقضوا ميثاقهم مع الله: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: 13]. (68)

- **تاسعاً– زيادة مرض القلب**

يقول ابن تيمية: » مرض الْقلب هُوَ نوع فَسَاد يحصل لَهُ يفْسد بِهِ تصَوره وإرادته؛

فتصوره بِالشُّبُهَاتِ الَّتِي تعرض لَهُ حَتَّى لَا يرى الْحق أَو يرَاهُ على خلاف مَا هُوَ عَلَيْه، وإرادته بِحَيْثُ يبغض الْحق النافع وَيُحب الْبَاطِل الضار». (69) قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: 10]، فالمرض الذي في قلوب المنافقين هو الشك في الاعتقاد، وأما زيادة المرض فهي الزيادة في الشك الذي كان في قلوبهم في السَّالف. (70) « فلا يؤثر فيها التذكيرُ والإنذار، وبذلك يتضاعف حسدهم بزيادة نعم **الله** تعالى على رسوله- صلى **الله** عليه وسلم- والمؤمنين، وتزداد ظلمة قلوبهم، ويزداد خوفهم ورعبهم عند مشاهدتهم لعزة المسلمين، فتزداد غمومهم، وإيقاد نيران همومهم». (71)

أ. الإضلال:

أما من كان مطواعاً لهوى النفس بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، ويتبع ما تدعوه إليه نفسه، وكلما مال طبعه إلى شيء اتبعه وذهب خلفه، فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحداً منها، فإن **الله** ينشئ فيه فعل الضلال فلا يقبل وعظاً، ولا يعتقد حقاً ولا يبصر عبرة؛ قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: 23]، (72) أما أهم مظاهر الإضلال فهي الشعور بحالة شديدة من الانقباض عن قبول الهدى، كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس. قال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 125]. ومن معاني الإضلال: الإركاس: قال تعالى في شأن خذلان المنافقين: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ [النساء: 88]. قال الفراء: أركسهم: ردهم إلى الكفر. وقال أبو عبيدة: يقال ركست الشيء وأركسته لغتان إذا رددته، والركس: قلب الشيء على رأسه، أو رد أوله على آخره، والارتكاس: الارتداد. (73) وقيل الإركاس: الإضلال. (74) ، وقد جعل **الله** ردّهم إلى الكفر جزاءً لسوء اعتقادهم، وقلّة إخلاصهم مع رسوله-صلى **الله** عليه وسلم- ، فإنّ الأعمال تتوالد من جنسها، فالعمل الصالح يأتي بزيادة الصالحات، والعمل السيّء يأتي بمنتهى المعاصي، ولهذا تكرّر في القرآن الإخبار عن كون العمل سبباً في بلوغ الغايات من جنسه. (75)

ب. الحرمان من التوفيق:

والحرمان من التوفيق يطلق على مفاهيم عدة منها:

- نسيان الله للإنسان: كما في قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [التوبة: 67]. قوله: (نسوا الله فنسيهم) معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته. (76)

- عدم تطهير القلب: كما في قوله تعالى عن اليهود الذين يسارعون في الكفر وإنكارهم لأحكام الله، ويتآمرون على الإسلام والمسلمين: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾ [المائدة: 41]. فالمقصود هو أن يبقي قلوبهم على رجسها فلا يهيئها لقبول الإيمان والهدى، ليذوقوا الخزي والذلّ والهوان في الدنيا خذلاناً لهم على صنيعهم.(77)

ت. تعطيل العقول والأبصار عن الاهتداء: كما قال تعالى في شأن المشركين: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأنعام: 110]. فلا يبصرون ما تحتوي عليه الآيات من الدلائل، ولا تفقه قلوبهم وجه الدلالة فيتعطل تصديقهم بها، فيحرمون من إصلاح إدراكهم. (78) وقد قدم الله تعالى ذكر تقليب الأفئدة على تقليب الأبصار؛ لأن موضع الدواعي والصوارف هو القلب. فإذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر إليه شاء أم أبى، وإذا حصلت الصوارف في القلب انصرف البصر عنه وإن كان يبصره في الظاهر فلم تتحصل له الفوائد المطلوبة. (79)

ث. إزاغة القلوب: أصل الزيغ: الميل، ومنه: زاغت الشمس، إذا مالت. فإزاغة القلب: إمالته عن الهدى. وزيغه: ميله عن الهدى الى الضلال. والزيغ: يوصف به القلب والبصر، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ [الأحزاب: 10]. (80) كما قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: 5]. فحينَ ندبَ موسى– عليه السلام– بني إسرائيل إلى قتال الجبابرة؛ عصوه وتحججوا بأشياء كثيرة ليعفيهم من القتال ثم قالوا له: ﴿**يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24]، وأصرُّوا على ذلكَ؛ رغم علمهم القطعي بأنه رسول من عند الله، وقد جرت على يديه كثير من المعجزات التي تؤيد رسالته، فلما أصرُّوا على الزيغ عن الحقُّ الذي جاءَ به موسَى– عليهِ السلامُ– واستمرُّوا عليهِ؛ أمال الله قلوبهم عن الحق وأسكنها الشك والحيرة. (81)

اللعنة: اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه. (82) فالناظر في الآيات التي ذكر الخذلان فيها

باللعنة يلحظ أن أغلبها نزل في اليهود؛ وإن كانت نزلت في غيرهم أيضاً، أما أول الملعونين فهو إبليس؛ لعنه الله حينما أمره الله بالسجود لآدم ورفض حسداً واستكباراً، وقال: ﴿**أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف: 12]، فما كان منه سبحانه إلا أن طرده من رحمته؛ قال تعالى: ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الحجر: 34-35]، أما يهود وبخاصة علماؤهم فقد لعنهم الله لأسباب عدة؛ إما بسبب كفرهم برسالة محمد؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: 88]، وقال أيضاً: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: 46]، أو كتمانهم آيات التوراة الشاهدة على صدق نبوة محمد وفي كتمهم آية الرجم؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: 159]، وإما بسبب كفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم، وحسدهم الذي حملهم على أن فضلوا الكفار على المسلمين؛ قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً**﴾ [النساء: 51] لذلك كان خذلانهم باللعنة: ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾ [النساء: 52]، وإما بسبب نقضهم لعهدهم الذي أخذه الله عليهم بوساطة نبيّهم موسى- عليه السّلام- ، بالعمل بما جاء في التوراة من أحكام وأوامر؛ قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: 13]، وبسبب سوء تصورهم لله سبحانه. فقد اتهموا الله بالبخل؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..**﴾ [المائدة: 64]، وقد قالوا أيضاً: ﴿**إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ [آل عمران: 181] عندما سئلوا النفقة. أما المنافقون فلعنهم الله بسبب تعرضهم لأعراض المؤمنات وبخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: 23]، يقول ابن عاشور: » واللعن في الدنيا: التفسيق، وسلب أهلية الشهادة، واستيحاش المؤمنين منهم، وحد القذف«.[83] ولسوء ظنهم بالله؛ قال تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ**

مَصيراً﴾ [الفتح: 6]، ولعنهم لتوليهم عن طاعة الله وعودتهم إلى الإفساد في الأرض وقطع الأرحام؛ قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ × أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾** [محمد: 22 -23]. فأبعدهم من رحمته بأن سلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله، وسلبهم عقولهم، فلا يتبيَّنون حُجج الله، ولا يتذكَّرون ما يرون من عبره وأدلته.[84] وقال تعالى في شأن فرعون وملئه: **﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾** [القصص: 42]، وقد لعن الله كل من آذى رسول الله بأي نوع من الإيذاء، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾** [الأحزاب: 57].

ج. ضنك العيش:

قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾** [طه: 124] فالمعرض عن ذكر الله في قلبه من الوحشة والذل والحسرات بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، فهو حريص على الدنيا طالباً للزيادة فعيشته ضنك وحالته مظلمة.[85]

المبحث الثاني ـ أثر الخذلان المعنوي في صياغة الشخصية:

يُقصد بصياغة الشخصية: تلك السمات الفكرية والسلوكية التي تنطبع بها الشخصية وتتميز عن غيرها، فشخصية الفرد وسلوكه هي نتاج عقائدي ثقافي، فالثقافة العقدية المتكاملة تنتج شخصية متكاملة سوية، والثقافة المضطربة تنتج شخصية مضطربة، فالسمات الخلقية والسلوكية للإنسان هي نتاج طبيعي منبثق عن العقيدة التي يؤمن بها، وسلوك أي إنسان هو عمله الإرادي المتجه نحو غاية معينة ومقصودة، تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية، وهذا السلوك قد يكون أخلاقياً، أي منضبطاً بضوابط أخلاقية يستمدها من اعتقاد لا خلل فيه، وقد يكون منحرفاً أو غير أخلاقي نتيجة لخلل في اعتقاده، فعلى قدر سلامة الاعتقاد وصفائه يكون سلوكه منضبطاً، وعلى قدر الخلل الحاصل في اعتقاده؛ يكون الانحراف والخلل في هذا السلوك. فإذن هناك تلازماً بين السلوك والاعتقاد، فالسلوك الظاهر مرتبط بالاعتقاد الباطن، ومن ثم فإن الانحراف الواقع في السلوك والأخلاق إنما هو ناشئ عن انحراف أو نقص في الإيمان الباطن. فإذا وصل العبد إلى أقصى درجات الانحراف اتسمت شخصيته بالانحراف. وبالتالي فإن للخذلان المعنوي بأشكاله المختلفة تأثيراً مباشراً في صياغة شخصية الفرد والسلوك المنبثق عنه.

الخذلان المعنوي وأثره في صياغة الشخصية اليهودية:

قبل الخوض في ذلك لابد من حصر أنواع الخذلان المعنوي الذي أصاب اليهود مع بيان سبب كل نوع وما نتج عن كل نوع من خلال تتبع الآيات الواردة في هذا الخصوص، لذلك سيتم التعرض لسياق الآيات التي ورد فيها ذكر الخذلان.

♦ أولاً- الختم على القلب: قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾ [البقرة: 7]، وبدراسة سياق الآية يتبين أن هذا الختم كان نتيجة لجحود يهود المدينة رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتبين هذا من خلال سبب نزول قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: 6]. يقول الطبري في تفسيره: « كان ابن عباس يرى أنَّ هذه الآية نزلتْ في اليهود الذين كانوا بنَواحي المدينة على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، توبيخًا لهم في جُحودهم نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبِهم به، مع علمهم به ومعرفتهم بأنّه رسولُ الله إليهم وإلى الناس كافّة». [86] ونتيجة لهذا الختم فلا يُرجى لهم إيمان لأن منافذ الإيمان قد أغلقت؛ فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، ولا يُبصرون سبيل الهُدَى، فهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم.

♦ ثانياً- الطرد من الرحمة (اللعن) :

قال تعالى: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: 46]، فإن كفر اليهود بمحمد- صلى الله عليه وسلم- كان سبباً في لعنتهم، وترتب على هذه اللعنة الحرمان من التوفيق والتبصر في دلائل صدق الرسول. كما لعنوا في مواضع أخر منها في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..** ﴾ [المائدة64]، لقد وصفوا الله، عز وجل وتعالى عن قولهم علواً كبيراً، بأنه بخيل. » وقد رد الله- عز وجل- عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال: ﴿**غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا**﴾ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم». [87]

♦ ثالثاً- الطبع على القلب:

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلا**﴾ [النساء: 155]، فالطبع على القلب هو حكم عليهم بعدم الإيمان. يقول ابن عاشور: » والاستثناء في قوله: إلا

قليلاً من عموم المفعول المطلق: أي لا يؤمنون إيماناً إلا إيماناً قليلاً، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إذ الإيمان لا يقبل القلة والكثرة، فالقليل من الإيمان عدم، فهو كفر». (88)

♦ رابعاً– تقسية القلوب:

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: 13].– فهم لأن الله نزع التوفيقَ من قلوبهم وقسّاها– حرّفوا كلام الله الذي أنزله على نبيهم موسى– صلى الله عليه وسلم– ، وهو التوراة، فبدّلوه، وكتبوا بأيديهم غير الذي أنزله الله– جل وعز– وإن كان ذلك من صفة القرون التي كانت بعد موسى من اليهود، إلا أن من جاء بعدهم يدخل في عدادهم؛ إذ كانوا على منهاجهم في الكذب على الله، والفرية عليه، ولفظ المضارع في (يحرفون) يؤكد ذلك لأن المضارع يفيد الاستمرارية، وتركوا العمل بما جاء في التوراة. » قال الحسن: تركوا عرى دينهم ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها. وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة». (89) وقسوة قلوبهم جرتهم كذلك إلى الخيانة والغدر.

♦ خامساً– إلقاء العداوة والبغضاء بينهم:

قال تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: 64]. لقد جاءت هذه الآية في معرض بيان مثالب اليهود وتآمرهم على الإسلام والمسلمين من باب الحسد والبغض؛ لذلك ألقى الله العداوة والبغضاء بين يهود جزاءً لبغضهم للمسلمين؛ لذلك لا تجتمع قلوبهم، فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل العداوة واقعة بين فرقهم إلى يوم القيامة، « ولقد كان بين يهود المدينة خصومات وعداء في عصر النبي– صلى الله عليه وسلم– بدليل أن منهم من كان في الجاهلية حليفا للأوس ومنهم من كان حليفا للخزرج. وكان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب ودماء، فكان حلفاء الخزرج من اليهود يقاتلون معهم الأوس واليهود المتحالفين معهم، وكان حلفاء الأوس من اليهود يقاتلون معهم الخزرج واليهود المتحالفين معهم...... وكان مثل ذلك بينهم بعد موسى– عليه السلام– وفي عهد دولتيهم يهوذا وإسرائيل على ما هو مستفيض في أسفار الملوك وأخبار الأيام من أسفار العهد القديم. وكان مثل ذلك بعد ذلك أيضاً في زمن حكم الدولة السلوقية والدولة البطليوسية اليونانيتين والدولة الرومانية والدولة المكابية على ما هو مأثور من الروايات التاريخية القديمة. وقد ظلوا بعد النبي– صلى الله

عليه وسلم- وما يزالون منقسمين دينيّاً وسياسياً وعنصرياً إلى طوائف متباغضة. » [90] ولهذا كانوا وما زالوا كلما عقدوا أسباباً يكيدون بها الإسلام وأهله ويحاربونه بها؛ يبطلها **الله** ويرد كيدهم عليهم، وينتصر المسلمون عليهم. إذن كان نتيجة هذا النوع من الخذلان تفرقهم واختلافهم وانتصار المسلمين عليهم، ونحن هنا لا نعني أي نوع من المسلمين ولكن من تمثل فيهم الإسلام بحق، وشواهد التاريخ خير دليل على ذلك.

- سادساً- قذف الرعب في القلب:

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [الحشر: 2]. وقال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً**﴾ [الأحزاب: 26]. فقذف الرعب في قلوب يهود خذلاناً لهم، لأنهم عادوا الإسلام والرسول- صلى **الله** عليه وسلم- وتآمروا عليه، وعلى الرغم من أن هاتين الآيتين جاءتا في سياق الحديث عن إجلاء بني النضير، وما تعرض له بنو قريظة من قتل للرجال، وأسر للنساء والأطفال؛ إلا أن الناظر في الآيتين يلحظ أن ما نتج عن قذف الرعب في القلوب سيحدث ويتكرر باستمرار إلى نهاية الصراع، وتحقيق ذلك سيتم لاحقاً.

إذن لقد كان للخذلان المعنوي الذي أنزله **الله** باليهود أثر بالغ في صياغة الشخصية اليهودية والسلوك الذي انبثق عنها، والعجيب في هذا الأمر أن هذا السلوك الذي سنتناول سماته لم يتمثل في جيل واحد، ولا في مجموعة يهودية معينة؛ بل تمثل في كل يهودي أينما كان باستثناء الأنبياء والصالحين منهم.

فقد تنوع الخذلان المعنوي الذي أصاب اليهود كما بُيِّن سابقاً بين الختم والطبع على القلب، وعدم تطهير القلب، وقذف الرعب في القلب، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، وتقسية قلوبهم، واللعنة التي طردتهم من رحمة **الله** وتوفيقه، وزادهم بضرب الذلة والمسكنة عليهم. [91] فنشأ عن ذلك سمات وصفات انطبعت بها الشخصية اليهودية وصارت من ملكاتها الثابتة وأخلاقها الموروثة الثابتة.

سمات الشخصية اليهودية:

لقد حللت نصوص القرآن الكريم الشخصية اليهودية، وكشفت عن سماتها الأخلاقية والسلوكية، وقدمت لنا نماذج لممارسات يهودية تمثل تلك السمات. ونحن سنحاول في هذا

المبحث بيان أثر الخذلان المعنوي في صياغة أبرز سمات الشخصية اليهودية.

1. **أحرص الناس على حياة:**

قال تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ [البقرة: 96]، فاليهود يحرصون على العيش بين الأمم بأي صورة من صور الحياة، ولو انتهكت كرامتهم وعاشوا في ذلٍ وبؤس وشقاء. وهذا الحرص لم يكن لفئة أو جيل من أجيالهم وإن نزلت هذه الآية في قضية المباهلة إلا أنها سمة في اليهود بشكل عام؛ وهذا ما تؤكده الصيغة التي جاءت في قوله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ) فاللام هنا لام القسم، وتجدنهم فعل مضارع، والنون توكيد للقسم، ومعروف في صيغة المضارع أنها تدل على الاستمرارية، فما بالك إذا أُكدت بالقسم وبنون التوكيد وجاء بعدها صيغة أفعل التفضيل، بالإضافة إلى تنكير كلمة «حياة» في قوله تعالى: (عَلَى حَيَاةٍ) « لتعميم معاني الحياة، سواء كانت حياة ذل أم كانت حياة عز، وسواء كانت حياة استعباد أم كانت حياة حرية، وسواء أكانت حياة قصيرة أم متطاولة، أكانت تحكمها الفضيلة أم كانت تحكمها الرذيلة، إنهم يحرصون على الحياة ذاتها من غير نظر إلى وصفها سواء أكانت مقيتة في ذاتها، أم كانت بكرامة من غير مهانة». [92] ولو تساءلنا لماذا يحرصون على حياة كهذه؟! نجد الجواب في السياق القرآني الذي وردت فيه الآية؛ فقد طردهم الله من رحمته لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، قال تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [البقرة: 90]، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ما أصاب قلوبهم من ختم وطبع جعلها لا تعي الحق ولا يقربها الهدى، فرفضوا الإيمان بمحمد–صلى الله عليه وسلم– وادعوا أنهم شعب الله المختار وأن الله وعدهم بالجنة دون سواهم، وهم يعلمون أنهم يكذبون وأن هذا افتراء على الله، فنزل قول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 94]، وهي دعوة للمباهلة، فامتنعوا من إجابة النبي– صلى الله عليه وسلم– لأنهم يعلمون أنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد نازل بهم، فهم في الواقع لا يرغبون في الموت أبداً، فهم يكرهون الموت، لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان.

2. **أجبن الناس عند ملاقاة المسلمين، بأسهم بينهم شديد، وقلوبهم متفرقة:**

قال تعالى: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحشر: 14]. هذه الآية وردت في سياق الحديث عن إجلاء بني النضير، والخطاب موجه للرسول–

صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين ولكن صيغة الفعل (يقاتلونكم) هنا بصيغة المضارع؛ وبالتالي فوصف حالة يهود عند قتال المسلمين هو وصف مستمر طالما قاتلوا المسلمين حتى قيام الساعة، وهذا الأمر ينقلنا إلى سمة متأصلة في الشخصية اليهودية عند مواجهة المسلمين وهي، أن يهود لا يبرزون لحرب المسلمين، وإنما يقاتلون مُتَحَصِّنين في قُرىً مُحَصَّنَة أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ لفرط رهبتهم من المؤمنين، فالله يقذف في قلوبهم الرعب من المسلمين فيكونون أجبن الناس عن لقائهم. والذي يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿**لَأَنتُم أشد رَهبَةً في صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ**﴾، لأن شدة الرهبة من المؤمنين، تشتمل على شدة التحصُّن لقتالهم إياهم. فلا يبرزون لقتال المؤمنين مجتمعين متفقين إلا في قرى محصنة بالقلاع والخنادق، يظنون أنها تمنعهم من المؤمنين، أو من وراء جُدُر، يتسترون بها، ودفعًا لهذا الشعور المتوارث في أجيالهم يلجؤون لاتخاذ الحصون المنيعة، والجدر العازلة السميكة للتحصن بها، والعيش في حماها. ولكن رُبَّ من يقول بأن هذا حال اليهود قبل قتال النبي لهم فقد عاشوا بعد الشتات في قرى محصنة كحصونهم التي أُجلوا منها في عهد الرسول فنرد عليهم بالقول بأن أسباب تحصنهم في ذلك الوقت كان خذلاناً آخر وهي الذلة والمسكنة التي فرضها الله عليهم، والتي كانت دافعاً لهم للانعزال عن المجتمعات الأخرى والتحصن من أجل الدفاع عن أنفسهم كما سيأتي بيانه لاحقاً. أما هنا فهو خذلان الرعب الذي يقذفه الله في قلوبهم من المؤمنين إلى يوم القيامة، [93] ومن يرى تحصن اليهود في العصر الحالي؛ يظن بأن قتالهم سيكون شديداً، ومن الصعب بمكان الانتصار عليهم بسبب حصونهم، وجدرانهم، كما حدث في قصة إجلاء بني النضير من أرض المدينة المنورة: قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ من دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [الحشر: 2]. [94] ومن أسباب هزيمتهم أمام جند المسلمين كذلك اشتداد بأسهم بينهم، فقد وصفهم الله بأنهم مختلفون لا تستوي قلوبهم، وإن كان ظاهر حالهم يوحي بالاجتماع والاتحاد إلا أن بواطنهم مختلفة لأن بينهم إحناً وعداوات فلا يتفقون على حرب المسلمين. [95] وسبب اختلاف قلوبهم وشدة البأس بينهم ما أصابهم الله به من خذلان بأن أغرى بينهم العداوة والبغضاء فأصبح بأسهم بينهم شديداً، فإنه يشتد بأسهم بينهم إذا حارب بعضهم بعضًا، أما إذا حاربوا الله ورسوله فإن الرعب يتملكهم. ولم يبق لهم ذلك البأس. وإنما ينال اليهود من المسلمين عندما تتفرق قلوبهم، فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين. ومتى عاد المسلمون إلى دينهم، وطبقوا أحكام الله هان عليهم أمر عدو الله وعدوهم، وتجمعت قلوبهم؛ حينها لن تقف أمامهم قوة مهما بلغت.

يقول د. صلاح الخالدي: «وكون العداوة والبغضاء هما القاعدة التي تحكم العلاقات بين أفراد المجتمع، والمنظار الذي ينظر منه كل إلى الآخر، وحلولهما مكان العلاقات والقيم الإنسانية، أدى ذلك إلى تفكك المجتمع اليهودي من الداخل، ولم يعد يربط أفراده أي معنى إنساني فاضل، فقد تحولوا إلى أفراد متشاكسين متقاتلين مفككين مختلفين». [96] ومن الواقع التاريخي يتبين أثر هذا الخذلان؛ فحينما نكّل النبي– صلى الله عليه وسلم– ببني قينقاع حينما أسفروا عن عدائهم وعدوانهم لم يتحرك بنو النضير وبنو قريظة لنصرتهم. ثم نكّل ببني النضير فلم يتحرك بنو قريظة. أما في العصر الحالي فيظهر أثر ذلك في المجتمع الإسرائيلي؛ فنرى التناحر والاختلاف داخل الأحزاب السياسية وحتى بين الفرق الدينية كل يكيد للآخر ويمكر به، ولكن للأسف في النهاية يجتمعون على الكيد بالمسلمين وذلك ليس إلا بسبب تفرق المسلمين وتشرذمهم، فلو عقل المسلمون الحاليون ما عقله أسلافهم من الصحابة والتابعين من أن في التفرق إغراء لليهود وغيرهم من الانقضاض عليهم، وأن في تجمعهم وتآلفهم منجاة لهم، وأن اجتماع اليهود ضد المسلمين هو اجتماع هش لا يصمد أمام قوة الإيمان واجتماع المسلمين؛ لاستطاعوا الانتصار على اليهود وطردهم من الأرض المقدسة.

3. الانعزالية:

يعيش اليهود في مجتمع منعزل عن المجتمعات الأخرى داخل الجيتو اليهودي منكمشين على أنفسهم، يأكل الحقد قلوبهم على المجتمعات الأخرى بسبب شعورهم بالذلة التي أوقعها **الله** في قلوبهم، فشعورهم بالذلة جبل نفوسهم على الحقد على الآخرين والحسد لهم وأشعرهم بالنقص مما أدى إلى عزلتهم، أضف إلى ذلك الذلة المادية التي كتبها **الله** عليهم بجانب الذلة المعنوية، والتي أدت إلى تفرقهم في بقاع الأرض وتعرضهم للعذابات والتقتيل والتنكيل على مر العصور.

يقول عبد الوهاب المسيري: «الانعزالية اليهودية» عبارة تفترض أن اليهود يعيشون في حالة عزلة عن الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. وتُفسَّر هذه الانعزالية في الأدبيات الصهيونية على أساس أنها فُرضت فرضاً على اليهود وأنهم غير مسئولين عنها. كما تُفسَّر أيضاً بأن اليهود لا يمكنهم الاندماج في مجتمعات الأغيار بسبب هويتهم أو شخصيتهم أو طبيعتهم أو تاريخهم أو جوهرهم اليهودي، وتنعكس هذه السمة في سلوكهم وتاريخهم. فالانعزالية سمة أساسية في اليهود يُسبِّبها شيء ما داخلهم. [97] والقارئ في تاريخ اليهود يلحظ سمة الانعزالية في الشخصية اليهودية كفرد وكمجتمع على السواء، ففي تاريخهم كله عاشوا في أحياء منعزلة عن غيرهم من الأمم والشعوب؛ مما جعلهم منبوذين من تلك الشعوب.

4. التذلل والتمسكن للآخرين:

قال تعالى: ﴿... **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 61]. وقال أيضاً: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: 112]، فضرب الذلة والمسكنة على اليهود؛ وإن كان في ظاهره خذلان مادي؛ إلا أنه نوع من الخذلان المعنوي، سيتبين لنا ذلك عند بيان معنيي الذل والمسكنة؛ فالذُّلُّ: نَقيضُ العزِّ، والذُّلُّ: الخِسَّة. [98] والذلة: اسم من الذل وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة. [99] والْمَسْكَنَةُ: فَقْرِ النَّفْس. [100] والخضوع والذل. [101] والمسكين: من ليس عنده ما يكفي عياله أو الفقير والخاضع الضعيف الذليل. [102] واسْتَكانَ: خَضَعَ وذَلَّ افْتَعَلَ من المَسْكَنَة. [103] وقالَ ابنُ الأثير: يَدُورُ معْنَى المَسْكَنة على الخُضُوعِ والذلَّةِ وقلَّةِ المالِ والحالِ السَّيْئة. [104] من المعاني السابقة يتبين لنا أن الذلة والمسكنة تدور معانيها حول الحالة المادية التي تصيب الإنسان، وحول الشعور الذي يستقر في النفس فيطبعها بصفة مستقرة فيها. وعليه فإن الذلة والمسكنة التي أوجبها الله على اليهود؛ أصابتهم خلال تاريخهم الإنساني؛ وما تعرضوا له من إذلال وتحقير خلال مسيرتهم التاريخية؛ سواء في عهود ما قبل الإسلام كالسبي البابلي، والسبي الروماني، وفي عهد الإسلام حينما أجلاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- عن جزيرة العرب، وتفرقهم في البلاد، أم في المرحلة اللاحقة حينما تعرضوا للإذلال على يد النصارى في العصور الوسطى وفي الأندلس، وما تعرضوا له من إبادة على يد هتلر؛ شاهد من التاريخ على هذا الإذلال، هذا وقد استقر الإحساس بالذلة والمهانة في شعورهم الباطن؛ نتيجة لهذا الخذلان الذي أصابهم، فظهر عليهم من خلال سلوكهم، وصبغهم بهذه السمة؛ وإن كان ظاهر حالهم يوحي أحياناً بخلاف ذلك؛ إلا أن هذا الشعور مستقر فيهم، ويظهر بين حين وآخر، وأحياناً يظهر في مواقف معينة من حياتهم، حتى إنك تلحظ تذللهم وتمسكنهم أمام الآخرين في مواقف معينة. فالمسكنة تعيش في ضمائرهم وتكمن في مشاعرهم. «فقد أنزلهم الله حيث أنزلوا أنفسهم فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة، إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم». [105] « يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة البتة». [106]

يقول ابن كثير: «أي: وضعت عليهم وألزموا بها شَرْعًا وقدرًا، أي: لا يزالون مستذلين، من وجدهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء

متمسكنون.... وقال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين. ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية». (107)

5. خيانة الأمانة وخيانة العهود والمواثيق:

مما تعورف عليه في المجتمعات قديماً وحديثاً من أخلاق اليهود الكذب، وخيانة العهود والمواثيق، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم هذه الأخلاق في اليهود، وبين سبب اتصافهم بها؛ قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: 13]. فقسوة القلوب التي وسمهم الله بها جعلتهم لا يرقبون في أحد إلاً ولا ذمة، فقلوبهم غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده معها الهدى، والخير إلا شراً. (108) وأصل الخيانة: عدم الوفاء بالعهد، وفعل (لا تزال) يدل على استمرار، وعلى ذلك يكون الغدر والخيانة عادةٌ مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتمونها، فلا تزال ترى منهم الخيانة، ونقض العهد؛ فقبل الإسلام نقضوا عهودهم مع الله، ومع أنبيائهم وآذوهم وقتلوا كثيراً منهم، وبعد دخول الإسلام إلى المدينة المنورة عاهدهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فنفضوا عهودهم معه، وغدروا به وتحالفوا مع المشركين ضده، وحتى هموا بقتله لولا أن نجاه الله منهم. واستمر حالهم من البعثة إلى الآن على هذا الأمر، فما عُرف لهم وفاء لعهد، وإنما ديدنهم مع المسلمين الخيانة والغدر، ونقض العهود. والتاريخ خير شاهد على ذلك. فالقلوب التي نزعت منها الرحمة والرأفة، وتركت أمر الله لابد أن تخون وتنقض العهد؛ لأنه لا محاسبة ذاتية داخلها تشعرها بالخطأ، فهي قاسية صلبة لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.

يقول سيد قطب: » فقسوة قلوبهم تبدو في ملامحهم وفي تصرفاتهم، ومهما حاولوا إبداء اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة، والنعومة عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة. وخيانتهم متواترة. بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم مع الرسول في المدينة- ثم في الجزيرة كلها- وما زالت هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ. على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي آواهم، ورفع عنهم الاضطهاد، ومكن لهم من الحياة الرغيدة فيه. ولكنهم كانوا دائماً- كما كانوا على عهد الرسول- يضمرون الخيانة فيتآمرون مع كل عدو لهم، حتى تحين الفرصة، فينقضوا على المسلمين) . (109)

6. سماعون للكذب أكالون للسحت:

القلوب التي لم يهيئها **الله** لقبول الإيمان؛ لا تحرص على الحق، ولا تهتم لما هو حلال وحرام، فكل سلوك أفرادها منغمس في الباطل، ومن ذلك ما جاء من أخلاق اليهود وسلوكهم في قوله تعالى: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ [المائدة: 42]. فقد ذكر **الله** هذه الصفة في يهود عقب ذكره لمثالب كثيرة ذكرها في سلوكياتهم أتبعها بذكر الخذلان الذي أصابهم نتيجة لتلك السلوكيات؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ×سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**.. ﴾ [المائدة – 41 42]، فأكَّالون وسمَّاعون من صيغ المبالغة على وزن فعَّالون، «وصيغة (فعَّال) تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار والإعادة والتجدد والمعاناة والملازمة» [(110)] ، فكأن أكل المال الحرام، وسماع الكذب ديدنهم، ومهنتهم، وسمتهم اللازمة لهم، والمستمرة باستمرار أجيالهم، ولن يخرجوا عنها.

يقول صاحب تفسير المنار: «وهكذا شأن الأمم الذليلة المهينة، تلوذ بالكذب في كل أمر، وترى أنها تدرأ به عن نفسها ما تتوقع من ضر. وكذلك يفشو فيها أكل السحت لأنها تعيش بالمحاباة، وتألف الدناءة، وتؤثر الباطل على الحق. وسمي الكسب الخسيس والحرام سحتاً؛ لأنه يستأصل المروءة أو الدين، والرشوة تستأصل الثروة، وتفسد أمر المعاملة، وتستبدل الطمع بالعفة، وكان أحبار اليهود ورؤساؤهم في عصر التنزيل كذابين أكالين للسحت من الرشوة وغيرها من الخسائس، كدأب سائر الأمم في عهد فسادها وانحطاطها، وقد صارت حالهم الآن أحسن من حال كثير من الذين يعيبونهم بما كان من سلفهم». [(111)]
ولكن هل فعلاً صارت حالهم أفضل من ذي قبل؟! بالطبع لا؛ لأن هذه سمة من سماتهم ذكرها القرآن، وما ذكره القرآن لا يمكن أن يتغير أو يتبدل بتغير الزمان والمكان، وما يحدث الآن من سلوكيات أحبارهم الذين يفتون لهم خير دليل على ذلك؛ فكم من حاخام أُحيل للمحاكمة بقضية الرشا، وكم من تقولات وأكاذيب صاغها علماؤهم. [(112)]

7. السعي في الأرض بالفساد:

طبيعي لمن تمكنت البغضاء من قلبه، ولمن ختم **الله** على سمعه وبصره، ومنعه الهداية ورؤية الحق؛ أن يتسلط الشيطان عليه، وأن يغفل مراقبة **الله** له، وأن يسعى للفساد

في الأرض؛ لأن مَنْ حُرِمَ توفيق الله له نزعت منه كل معاني الفضيلة؛ قال تعالى في شأن اليهود: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: 64]، ولو أمعنا النظر في سياق الآية لوجدنا أنها أتت في سياق النهي عن اتخاذ اليهود أولياء من دون الله، وتعليل هذا النهي ببيان الصفات المستقرة في الشخصية اليهودية من نفاق واستهزاء بالإسلام، والمسارعة والحرص على الإثم والعدوان، وأكل المال الحرام، والتعدي على جلال الله بوصفه بالبخل، والسعي لتأجيج الحروب، ثم ذكر سعيهم للإفساد في الأرض، فقوله: (ويسعون) هي إضافة إلى صفة أخرى مستقرة في الشخصية اليهودية؛ ألا وهي الحرص على الإفساد، ونشر الفساد؛ فقد جاءت بلفظ المضارع (يسعون) للدلالة على الحرص على نشر الفساد، وإفساد غيرهم، والاستمرار في هذا النهج؛ فالمضارع كما قال أهل اللغة العربية يفيد التجدد والحدوث؛ وبذلك يكون السعي بالفساد صفة أو سمة ثابتة في الشخصية اليهودية، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ جاء الفعل بصيغة الجمع، وبدون تعيين للجمع، وهذا دليل على أن المقصود بهذه الصفة هو مجموع اليهود، وبالتالي وضح لنا أنها سمة مستقرة في الشخصية اليهودية.

يقول ابن كثير: «أي من سجيتهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض». [113]

أما مظاهر هذ الفساد والإفساد فلا يخفى على كل لبيب، فالتاريخ بمداه الماضي والحاضر يزخر بذلك، وقد كتبت مؤلفات عديدة في بيان إفسادهم في الأرض على مدى تاريخهم إلى وقتنا الحاضر، فليرجع إليها للفائدة، ولكن ما يهمنا في هذا الأمر هو التأكيد على أن هذه السمة متأصلة في الشخصية اليهودية، وهي معلم من معالمها الخبيثة. وعليه فعلى المسلمين أن يعلموا أن سمات الشخصية اليهودية وبخاصة هذه السمة؛ هي سبب البلاء الذي حل ويحل بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولذلك عليهم أن يحذروا التعامل مع اليهود وإن أظهروا لهم الود، وحسن المعاملة، فكل فرد منهم داخله ذئب مفترس ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على فريسته، وعلى الرغم من ذلك فعلى المسلم أن يكون على يقين بأن هذا الفساد والإفساد له نهاية، ولكن حين نعود إلى ربنا، ونعتصم بكتابه. قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴿4﴾ **فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً**﴿5﴾ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم**

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾6﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾7﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾8 [الإسراء: 4-8].

خاتمة البحث:

في ختام البحث لابد من تسجيل أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

1. أن خذلان الله للعبد ينقسم إلى خذلان مادي وخذلان معنوي
2. أن أغلب صور الخذلان المعنوي تنحصر في القلب الوظيفي وبأشكال متنوعة.
3. أن المراد بالقلوب في ذكر القرآن هي الألباب والعقول.
4. أن الخذلان المعنوي هو من أشد العقوبات التي يوقعها الله على العاصين له الخارجين عن طاعته، وتختلف درجات شدتها بحسب الجرم والمعصية.
5. أن أغلب صور وأشكال الخذلان المعنوي كانت من نصيب اليهود.
6. أن الخذلان المعنوي هو العامل الأساس في صياغة الشخصية اليهودية المتناقضة المفسدة.
7. لقد كان للخذلان المعنوي الذي أنزله الله باليهود أثر بالغ في صياغة الشخصية اليهودية والسلوك الذي انبثق عنها، وأن هذا السلوك لم يتمثل في جيل واحد، ولا في مجموعة يهودية معينة بل تمثل في كل يهودي أينما كان باستثناء الأنبياء والصالحين منهم.
8. تنوّع الخذلان المعنوي الذي أصاب اليهود أنشأ سمات وصفات انطبعت بها الشخصية اليهودية وصارت من ملكاتها الثابتة وأخلاقها الموروثة الثابتة.
9. اليقين بأن اليهود مهما علوا وتجبروا فهم مخذولون بخذلان الله لهم وإن بدا ظاهر حالهم بخلاف ذلك.

الهوامش:

1. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة: 1399هـ- 1979م، (2/ 165) . مادة: خذل.
2. مجموعة من المؤلفين من مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة (1/ 222) ، وانظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407 هـ- 1987 م (4/ 1683) / أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية (28/ 399) .
3. الصاحب ابن عباد، المحيط في اللغة (1/ 547) ، انظر: الجوهري: الصحاح (4/ 1683) / أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط-3 1414 هـ (11/ 202) / أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس (28/ 399) . مادة: خذل.
4. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (5/ 435) / ابن منظور، لسان العرب (5/ 210) / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416 هـ (2/ 531) .
5. عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م (ص310) .
6. قد يعتقد البعض بأن القول بخلق قدرة المعصية في الإنسان يتنافى مع عقيدة أهل السنة لذلك: انظر في هذه المسألة كتاب: مرهم العلل لليافعي (ص 162-165) ، وفيه يثبت أن هذا القول لا يتنافى مع عقيدة أهل السنة وذلك في معرض رده على المعتزلة في هذا الشأن، وذلك بالأدلة.
7. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3 (1/ 292) .
8. ابن منظور، لسان العرب (11/ 202) مادة: خذل. وانظر: أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس (28/ 399) / مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (1/ 222) .
9. شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث

العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ط–1، 1410 هـ (1/ 219) . وقد عرَّف ابن القيم التوفيق بقوله: والتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد؛ بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه، مريداً له، محباً له، مؤثراً له على غيره، ويبغض إليه ما يسخطه ويكرهه إليه، وهذا مجرد فعله والعبد محل له». انظر كتابه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، 1416 هـ (1/ 415) .

10. بن القيم، مدارج السالكين (1/ 413) .

11. شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر– بيروت، 1398 – 1978م (ص: 100) .

12. أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس (39/ 123) . وانظر مصدر النقل: التوقيف للمناوي (ص 665–667) .

13. انظر: ابن القيم، الفوائد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط2، 1393هـ (ص 173–174) .

14. شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (1/ 24) .

15. انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984 هـ (1/ 254–257) .

16. ابن عاشور، التحرير والتنوير (6/ 17–18) .

17. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ– 1999 م (7/ 144) .

18. ابن عاشور، التحرير والتنوير (11/ 6) باختصار.

19. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق– بيروت– القاهرة، ط–17 1412 هـ (3/ 1695) .

20. انظر: (أبو زهرة) محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (6/ 2914) .

21. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (9/ 32) .

22. انظر: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ- 2000 م (9/ 363) ./ أبو السعود العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث- بيروت (2/ 250) ..

23. انظر: أبو جعفر الطبري، جامع البيان (17/ 305) / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999 م (4/ 605) .

24. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999 م (8/ 126) .

25. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 257) .

26. انظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ- 1998 م (1/ 45) باختصار.

27. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة- مصر (ص: 73) .

28. ينظر: ابن القيم، التفسير القيم (تفسير القرآن) (ص: 115) .

29. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (1/ 259) . أما تعريف الران فقدَ ورد في الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: » إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: 14]. قال الحاكم: » هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَدِ احْتَجَّ مُسْلِمٌ بِأَحَادِيثِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ«. انظر: المستدرك على الصحيحين (وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي) ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة – بيروت، كتاب الإيمان (1/ 5 ح6) . وقد سكت عنه الذهبي في التلخيص.

30. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (1/ 255) .

31. انظر: أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (3/ 303) .

32. ابن القيم، التفسير القيم (ص: 475) باختصار.

33. محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، ط6، 1383 هـ (1/ 244) .

34. انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (11/ 69) .

35. ابن منظور، لسان العرب (9/ 276) . مادة: قذف.

36. ابن منظور، لسان العرب (1/ 420) .

37. انظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت،ط1، 1420 هـ (3/ 627-628) / فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420 هـ (25/ 164) .

38. الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ، دار القلم- دمشق (2/ 345) / وانظر: أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس (39/ 477) مادة: لقى.

39. انظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (1/ 521) .

40. انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وبذيله: حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407 هـ (1/ 425) .

41. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (9/ 384) . وانظر تعليل لطيف لابن عاشور في تفسيره حول أن الشرك بالله هو سبب لإلقاء الرعب. التحرير والتنوير (4/ 124-125).

42. عبد الرءوف الميناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 237)

43. انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (2/ 75) .

44. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (1/ 273) .

45. انظر: ابن منظور، لسان العرب (7/ 121) .

46. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت، ط1، 1412 هـ (ص: 136) .

47. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (ص: 131) .

48. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (4/ 346) .

49. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري مؤسسة الرسالة- بيروت- 1419هـ- 1998م. (ص: 644) .

50. انظر: علاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415 هـ (2/ 24) / إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (6/ 222) .

51. انظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي- القاهرة، طبعة: 1419 هـ (2/ 19) .

52. عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000 م (ص: 226) / يقول ابن عجيبة: « يؤخذ من الآية أن من نقض العهد مع **الله** بمخالفة ما أمره به أو نهاه عنه، أو مع أولياء **الله**، بالانتقاد عليهم وعدم موالاتهم، ألقى **الله** في قلب عباده العداوة والبغضاء له، فيبغضه **الله**، ويبغضه عبادُ **الله**، ومن أوفى بما أخذه **الله** عليه من العهد بوفاء ما كلفه به، واجتناب ما نهاه عنه، وتودد إلى أوليائه، ألقى **الله** في قلب عباده المحبة والوداد، فيحبه **الله**، ويحبه عباد **الله**، ويتعطف عليه أولياء **الله**، كما في الحديث: «إذا أحب **الله** عبدا نادى جبريلُ، إنَّ **اللهَ** يُحب فلاناً فأحِبَّه، فيُحِبَّهُ جبرِيلُ. ثم يُنَادِي في الملائكة: إن **اللهَ** يُحِبُّ فُلاَنًا فأحِبُّوه. فيُحِبُّه أهلُ السَّمَاءِ، ثم يُلقَى له القَبولُ في الأَرض». البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 19) . والحديث أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: المقة من **الله** تعالى (8/ 14ح6040) . ومسلم في كتاب: البر والصلة، باب: إذا أحب **الله** عبداً حببه إلى عباده صحيح مسلم (4/ 2030ح2637) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي **الله** عنه.

53. انظر: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1408 هـ (2/ 161) / السمين

الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (4/ 227) .

54. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (6/ 147) .

55. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، مجاز القرآن ، تحقيق: محمد فواد سزكَين، مكتبة الخانجى– القاهرة، طبعة: 1381 هـ (1/ 159) .

56. انظر: ابن منظور، لسان العرب (13/ 360) . مادة: كنن.

57. انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط1، 1422 هـ (2/ 18) / أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ– 1964م (6/ 404) / الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (7/ 180) / محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر– بيروت، 1415 هـ (3/ 160) .

58. انظر: أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (11/ 7) ، محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي (الخواطر) ، مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997م (14/ 8945– 8944) ، عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 480) .

59. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (4/ 386) .

60. ابن منظور، لسان العرب (11/ 497) .

61. انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (15/ 306) . ولمزيد من الفائدة انظر: أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 298) / عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (الملقب بسلطان العلماء) ، تفسير القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم– بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م (2/ 246) / أبو الحسن الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 163) / أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، طبعة: 1420 هـ (7/ 167) .

62. ابن قيم الجوزية، التفسير القيم (ص: 366–367) .

63. انظر: ابن منظور، لسان العرب (15/ 180) .

64. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (5/ 87)

65. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 671) .

66. ابن منظور، لسان العرب (15/ 180) .

67. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق للجاحظ، قرأه وعلق عليه: إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث- طنطا، ط1، 1410-1989م (ص30) .

68. وسبب ذلك أن الله قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل على عهد موسى- صلى الله عليه وسلم- على طاعته بما يأمرهم به، حينما بعث منهم اثني عشر نقيبًا وقد تُخُيِّرُوا من جميعهم ليتحسَّسُوا أخبار الجبابرة، ووعدهم بالنصر عليهم، وأن يورثهم أرضَهم وديارهم وأموالهم، إن هم أوفوا بالعهد ولكنهم نقضوا مِيثاقهم ونكثوا العهد، فأورثهم قساوة في قلوبهم. انظر: تفسير الطبري (10/ 125) . وقد دل اختلاف القراءات في كلمة (قاسية) في توصيف حالة القسوة التي أصابت بني إسرائيل؛ فقد قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (قَسِيَّةً) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (قَاسِيَةً) بِالْأَلِفِ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ. انظر: النشر في القراءات العشر (2/ 254) . قراءة (قَاسِيَةً) بالألف على تقدير»فاعلة« من»قسوة القلب«، من قول القائل: »قَسَا قلبه، فهو يقسُو وهو قاس«، وذلك إذا غلظ واشتدّ وصار يابسًا صلبًا منزوعاً منه الرأفةُ والرحمة. وقراءة «قسِيَّة»: على وزن «فعيلة»، من «القسوة»، فالقلوبُ التي لم يخلص إيمانها بالله، ويخالط إيمانها كُفْر، كالدراهم»القَسِيَّة«، وهي التي يخالط فضّتها غشٌّ من نحاس أو رَصاص وغير ذلك، وبالجمع بين معنى القراءتين يتبين أن الله قد جعل قلوب الذين نقضوا عهودَهم من بني إسرائيل مع الله شديدة القسوة منزوعا» منها الخير، فلا يلينون ولا يرحمون غيرهم، قلوبهم مرفوعًا منها التوفيق، فلا يؤمنون ولا يهتدون. انظر: أبو جعفر الطبري، جامع البيان (10/ 126-128) / أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (6/ 115) .

69. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، أمراض القلب وشفاؤها، المطبعة السلفية- القاهرة، ط2، 1399هـ (ص: 4) .

70. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (1/ 281) .

71. انظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (1/ 42) / شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415 هـ (1/ 151-152) .

72. انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (27/ 677-678) / أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (3/ 303) / أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7/ 268) .

73. ابن القيم، التفسير القيم (1/ 230) .

74. السمين الحلبي، الدر المصون (1/ 1180)

75. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (5/ 150) .

76. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (14/ 339) .

77. انظر: أبو جعفر الطبري، جامع البيان (10/ 317-318) / الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (6/ 201) .

78. انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (7/ 441) .

79. انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (13/ 115) .

80. ابن القيم، التفسير القيم (ص: 541) .

81. انظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (8/ 243) .

82. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (2/ 339) ، مادة: لعن

83. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (18/ 191) .

84. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (22/ 178) .

85. انظر: ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء، دار المعرفة- المغرب، ط1، 1418هـ- 1997م (ص: 120) / فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (22/ 111) .

86. أبو جعفر الطبري، جامع البيان (1/ 251) .

87. أبو الفداء ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (3/ 146) .

88. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (6/ 18) .

89. أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (3/ 66) .

90. محمد عزت دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب- القاهرة، طبعة: 1383هـ (9/ 176) .

91. سنتطرق إلى مسألة ضرب الذلة والمسكن على اليهود لاحقاً بالتفصيل والتحليل.

92. انظر: (أبو زهرة) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير (1/ 324) .

93. وهذ الأمر ملاحظ؛ فلا تجدهم في فلسطين من فرط رعبهم إلا في قرى محصنة، يفصلون أنفسهم عن المسلمين أينما كانوا حولهم، بجدار عازل، وآخر هذه الجدر؛ الجدار الذي بدأوا بإقامته بعد تولي د. محمد مرسي مقاليد الحكم في مصر؛ لشعورهم بأنهم الآن يواجهون من سيكون سبباً في رعبهم.

94. وكما حدث مع بني النضير قديماً حدث مع ذراريهم على أرض فلسطين حديثاً؛ وتحديداً في غزة فقد أجلوا أنفسهم منها وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المجاهدين من أهل غزة، وما ذلك إلا لأن **الله** قذف الرعب في قلوبهم، وهذه بداية الطريق نحو التحرير بإذن **الله**، وسيرى جند **الله** المرابطون على أرض الإسراء ما سيحل آنذاك باليهود. ولو تمعنا في قوله (يخربون) لوجدنا أنها أتت بالفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار أي أن حال تخريبهم لبيوتهم من فرط خوفهم من المسلمين نتيجة لقذف الرعب في قلوبهم هي حال مستقرة في أفعالهم.

95. انظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد **الله** بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط–1 1418 هـ (5/ 201) / أبو الفرج ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (4/ 261) / أبو عبد **الله** القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (18/ 36) / أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (8/ 231) / الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (28/ 106) .

96. د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم– دمشق، ط1، 1419–1998م (ص275) .

97. 97 – انظر: د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (3/ 159) باختصار.

98. انظر: ابن منظور، لسان العرب (11/ 256–257) مادة: ذلل.

99. إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (1/ 417) .

100. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى– محمود الطناحي، المكتبة العلمية– بيروت، 1399هـ (2/ 385) .

101. ابن منظور، لسان العرب (13/ 211) .

102. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (1/ 440) .

103. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ (ص: 1556) .

104. أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس (35/ 201) .

105. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه- بيروت، ط-1، 1416 هـ (1/ 300) .

106. المرجع السابق (2/ 238) .

107. أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1/ 282) . وانظر: جار **الله** الزمخشري، تفسير الكشاف (1/ 146) / أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط (1/ 381) / الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (1/ 526-528) .

108. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 225) .

109. انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (2/ 859) .

110. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ- 2007م.

111. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية، سنة النشر: 1990م (6/ 325) .

112. ففي سنة 2005م، وفي أعقاب تحقيق أجرته «القناة الثانية» للتلفزيون الإسرائيلي المستقل، جرى التحقيق مع رجال دين يهود ورئيس المؤسسة الرسمية للحاخامات الأشكنازيين، يونا متسجر، في قضايا رشوة وعمليات احتيال وسرقة وتبييض أموال، وحسب مصدر مقرب من الشرطة فإن إحدى الشبهات تتحدث عن سرقة بضع مئات الألوف من الشيقلات، كانت قد وصلت كتبرع لإحدى الجمعيات. انظر: جريدة الشرق الأوسط، اللندنية، عدد: 12625 بتاريخ 22/ 6/ 2013م.

113. أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (3/ 147) .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى– محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية– بيروت، 1399هـ. ج2
2. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى. ج2
3. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط1، 1422 هـ. ج4+2
4. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أمراض القلب وشفاؤها، المطبعة السلفية– القاهرة، ط2، 1399هـ.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984 هـ. ج 28+18+15+11+9+7+6+5+4+1
6. ابن عباد، الصاحب، المحيط في اللغة. ج1
7. ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز (الملقب بسلطان العلماء) ، تفسير القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم– بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م. ج2
8. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي– القاهرة، طبعة: 1419 هـ. ج2
9. ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، دار المعرفة– المغرب، ط1، 1418هـ– 1997م.
10. ابن قيم الجوزية، شمس الدين، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ج1
11. ابن قيم الجوزية، شمس الدين، تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم) ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ط1 ،1410هـ

12. ابن قيم الجوزية، شمس الدين، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر- بيروت، 1398 - 1978م.

13. ابن قيم الجوزية، شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1416 هـ- 1996م. ج1

14. ابن قيم الجوزية، شمس الدين، الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1973- 1393م.

15. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999 م. ج 3+4+7+8

16. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط-3، 1414 هـ. ج 1+5+7+9+11+13+15.

17. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي- بيروت. ج 1+2+8.

18. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ- 2000 م. ج 1+9+10++14+17+22.

19. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، طبعة: 1420 هـ. ج7

20. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. ج 6+1

21. أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكَين، مكتبة الخانجى- القاهرة، طبعة: 1381 ه. ج1

22. الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم- دمشق. ج2

23. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت،ط1، 1415 هـ. ج1

24. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر

الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ. ج8

25. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت،ط1، 1420 هـ. ج 1+3

26. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. ج 1+6

27. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث- بيروت، ط-1 1418 ه. ج5

28. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث- طنطا، ط1، 1410-1989م.

29. جريدة الشرق الأوسط، اللندنية، عدد: 12625 بتاريخ 22/ 6/ 2013م.

30. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407 هـ- 1987 م. ج4

31. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415 هـ. ج 2+3

32. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم- دمشق، ط1، -1419 1998م.

33. الخطيب، محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1964 م.

34. دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، طبعة: 1383هـ. ج9

35. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة: 1399هـ- 1979م، ج 1+2+4+5

36. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420 هـ. ج 9+13+22+25+27

37. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، المفردات في غريب القرآن،

تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق، بيروت، ط1، 1412 هـ.

38. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م. ج6

39. الزبيدي، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. ج 28–35–39

40. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه ، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ– 1988 م. ج2

41. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وبذيله: حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، 1407 هـ. ج1

42. السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ–2007م.

43. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ– 2000 م

44. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. ج 1+4

45. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (الخواطر) ، مطابع أخبار اليوم، 1997م. ج14

46. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر– بيروت– لبنان، 1415 هـ– 1995م. ج3

47. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة– مصر.

48. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ– 2005 م.

49. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي،

القاهرة، 1416 هـ. ج2

50. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ– 1964م. ج 18+11+6

51. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط3. ج1

52. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق– بيروت– القاهرة، ط–17 ، 1412 هـ. ج 3+2

53. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري مؤسسة الرسالة– بيروت– 1419هـ– 1998م.

54. مجموعة من المؤلفين من مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج1

55. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

56. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب– القاهرة، ط1، 1410هـ– 1990م.

57. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ– 1998 م. ج 1+2+3

58. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين (وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي) ، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة – بيروت، كتاب الإيمان. ج1

59. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت. ج4

60. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه– بيروت، ط–1، 1416 هـ. ج 1+2